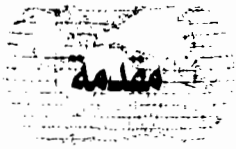

مقدمة

لو كانت الفائدة من علم الجغرافيا قاصرة على العنصر الثقافى المتمثل فى مجرد الإلمام بصورة العالم الذى نعيش فيه وأحوال البلدان المختلفة وأنشطة الشعوب التى تسعى فى مناكب كوكب الأرض ، لكفى ذلك العلم قيمة وأهمية أن يكون نافذة يطل منها المرء على حسن تدبير الله لأحوال الدنيا ، ونهجه القويم فى تقسيم الأرزاق وكفالة لقمة العيش لمن يعيشون فى قلب الصحراء ومن يقطنون الجزر النائية الواقعة فى غياهب المحيط ! . لكن واقع الأمر أن علم الجغرافيا أجلُّ من حيث الفائدة العملية وأبعد أثرا فى حياتنا من ذلك ، ففيه يجد الرحالة الوَلُوْعُ بالسفر والترحال ضالته المنشودة، ويجد رجل الأعمال المهتم ببحوث التسويق وفرص الاستيراد والتصدير هاديا ومرشدا ، ويجد رجل الدولة مادة غزيرة تتيح له رسم خططه لمستقبل بلاده على أساس من المعرفة الدقيقة بأحوال البلدان الأخرى ، ويجد القائد العسكرى منظومة المعلومات الأساسية عن مسارح العمليات والمواقع الاستراتيجية ، ويجد غيرهم كثيرون فى علم الجغرافيا معينا لا ينضب من الفوائد العملية المحققة ، ونحن هنا إنما نعنى علم الجغرافيا العام بكل فروعه..

ولقد أدرك الأجداد العرب والمسلمون هذه القيمة العظيمة لعلم الجغرافيا على نحو لم يدركها به قبلهم أحد ؛ فمضوا ينهلون من منابع ذلك العلم فى مؤلفات السابقين ، يستقون المعلومات ويمحصونها ويضيفون إليها من خبراتهم فى ارتياد البلاد وجوب البحار، ومن ابتكاراتهم ما أثرى ذلك العلم ثراء هائلا ، ثم انتقلوا إلى تصنيف أعظم المؤلفات الجغرافية التى لم تعرف لها البشرية نظيرا من قبل حتى أضحت مصنفات ياقوت الحموى والمسعودى والأصطخرى والبلخى والغرناطى والمقدسى واليعقوبى وابن جبير وابن حوقل وابن رستة وابن فضلان وابن قدامة وكثيرون غيرهم ، أضحت المصدر الوحيد للإحاطة بأحوال بلدان العالم فى القرون الميلادية الوسطى كما اعترف بذلك مؤرخو العلم فى الغرب ، وأضحت مصنفات البيرونى عن جغرافية وتاريخ الهند أهم المراجع القديمة عن ذلك البلد ، كما أضحت مصنفات الشريف الإدريسى وخرائطه الأساس المباشر للجغرافيا الحديثة وللكشوف الجغرافية فى عصرها الزاهر . وما أحوجنا اليوم أن نصل حاضرنا بماضينا ، وننهل من ينابيع الجغرافيا القدر الوافر من المعلومات الذى يتيح لنا الإحاطة الصحيحة بأحوال الشعوب والانطلاق الناجح فى ميادين التجارة والإعلام

والسياسة على أسس واعية تذلل لنا الصعاب وتسمح بمرونة ونعومة فى التعامل مع تلك الشعوب وولاة الأمور فيها .

وكتابنا هذا يختص بجغرافية البلدان ، وقد حرصنا فيه على تقديم قاعدة أساسية من المعلومات الجغرافية والسياسية والاقتصادية والسكانية عن بلدان العالم المختلفة ، وأضفنا إليه تفاصيل خاصة بالأديان واللغات ونسب الأمية وأحجام القوى العسكرية ؛ فالأديان واللغات ونسب الأمية تقدم للقارئ فكرة أساسية عن التركيبة الثقافية لأى بلد ، وأحجام القوى العسكرية تقدم له فكرة عن التوازنات العسكرية فى مناطق العالم المختلفة يمكن أن تتكامل مع فكرته عن التوازنات الاقتصادية ، ومن ثم تنمى لديه حسا استراتيچيا واعيا ، والبيانات الخاصة بالتركيبة الطائفية والعرقية تفسر للقارئ الكثير من أسباب القلاقل والنزاعات والصراعات المختلفة داخل الكثير من بلدان العالم وبينها وبين بعضها البعض . وقد أضفنا إلى الكتاب جداول مهمة تتضمن مقارنات جغرافية اقتصادية توفر للقارئ فكرة أساسية عن القوى الاقتصادية الكبرى فى العالم وتبين له بجلاء معلومات فريدة قد لا يلتفت إليها ما لم تتوافر له التفاصيل والأرقام التى نزوده بها فى هذا الكتاب ؛ ومن ذلك مثلا : إن الدخل القومى لدولة أوربية واحدة كإيطاليا (التى كانت حتى وقت غير بعيد أقرب إلى الفقر منها إلى الغنى) يزيد بأكثر من ٢٥٠ (*) مليونا من الدولارات على مجموع الدخل القومى لكل الدول الإفريقية (أكثر من ٥٠ دولة) بما فى ذلك العملاقان جنوب إفريقيا ونيچيريا ، وقد قمنا بالفعل بعمليات الجمع اللازمة وعقدنا المقارنة فإذا بنا نخرج بتلك الحقيقة مفرطة الغرابة !!

نرجو لكتابنا هذا أن يكون مجرد خطوة أولى على طريق تحصيل المزيد والمزيد من المعلومات عن بلدان العالم وشعوبه ، لكى يتحقق لنا - نحن العرب - فهم أكبر لتلك الشعوب ومقدرة أكبر على التعامل معها وكسب ودها وعلى التنافس معها فى سباق الحضارة ، لكى تحتل أمتنا موقعا متقدما يليق بماضيها العظيم وتراثها الخالد .

ونسأل الله أن يحقق ما نصبو إليه ،،،

المؤلف

(*) هذا التقدير وفقا لإحصاءات عام ١٩٩٤ .